الفصل الأول

التربية

(مفهومها – أهدافها – أهميتها)

مقدمـــة.

أولاً : مفهوم التربية.

ثانياً : ماهية التربية.

ثالثاً : أهداف التربية.

رابعاً : أهمية التربية.

خامساً : أسس التربية.

سادساً : ركائز التربية.

سابعاً : ضرورة التربية.

الفصل الأول

التربيـة

(مفهومها – أهدافها – خصائصها)

مقدمة:

تعتبر التربية ظاهرة اجتماعية ذلك لأنها لا تتم في فراغ أو دون وجود المجتمع إذ لا وجود لها إلا بوجود المجتمع، وفضلا عن ذلك فإن وجود الإنسان الفرد المنعزل عن مجتمعه أو جماعته لا يمكن تصوره إذ أنه مستحيل بلا خرافة.

والتربية في كل أحوالها لا تهتم بالفرد منعزلا عن المجتمع بل تهتم بالفرد والمجتمع معا وفي وقت واحد ومتزامن من خلال اتصال الفرد بمجتمعه وتفاعله معه سلبا وإيجابا.

وتلعب التربية دوراً مهماً وخطيراً في حياة الأمم فهي أداة المجتمع في المحافظة على مقوماته الأساسية من أساليب الحياة وأنماط التفكير المختلفة وتعمل هذه الأداة على تشكيل مواطنيه والكشف عن طاقاتهم ومواردهم واستثمارها وتعبئتها.

وعلى أساس هذا التعريف يتضح أن التربية عمل إنساني وأن مادتها هي الأفراد الإنسانيون وحدهم دون غيره من الكائنات الحية الأخرى أو الجامدة، ومعنى هذا أنه قد يكون هناك تدريب للحيوان ولا تكون هناك تربية له وبذلك تتميز طبيعة الأفراد الإنسانيين عن غيرها في المستويات الحيوانية الأخرى على أنه يجب ألا يفوتنا أن نذكر أن اهتمام التربية وتركيزها على الفرد الإنساني وحده لا ينفي أن هناك اتصالا واستمرارا من نوع معين بين المستويات الحيوانية والمستويات الإنسانية ويتجلى من أن التربية ليست شيئا يمتلكه الأفراد ولكنها عملية لها مراحلها وأهدافها فالمعرفة أو المهارة أو الأخلاق الحسنة ليست في ذاتها

تربية ولكنها تدل فقط على أن الفرد قد تربى وعندما نقول أن المدرسة تربى فمعناه أنها تشغل بعملية معينة وعندما نقول أن الفرد قد تربى معناه أنه قد مر بعملية معينة.

والتربية بذلك عملية تنمية الأفراد الإنسانيين ذات اتجاه معين، ويترتب على ذلك أنها تحتاج إلى وكيل تربوى يوجه الشخص الذى يمر بهذه العملية أى أنها تقوم على أساسين وهما التلميذ والوسيلة التربوية التى تشكل طبيعته الإنسانية، ويقوم على هذه الوسيلة التربوية ويوجهها أفراد إنسانيون، وبذلك تكون التربية عملية تنمية لأفراد إنسانيين يقوم بها أفراد إنسانيون.

وبقدر اختلاف المجتمعات وتباينها تختلف التربية في أنواعها ومفهومها وأهدافها وطرقها والسبب في ذلك فعل وتأثير القوى الثقافية التى تؤثر في كل مجتمع على حدة والأمر يتضح جليا إذا سلمنا أن لكل مجتمع إنسانى قيمه ومعاييره وأهدافه التى ينشدها وتعبر عنه ويعمل جاهدا على تحقيقها بطرقه ووسائله الخاصة به والتى تتناسب معه وارتضاها وذلك من خلال أفراده ولبناته المكونة له.

أولاً : مفهوم التربية:

تتعدد الآراء حول مفهوم التربية ويختلف الناس حولها ومرجع ذلك ومرجه يكمن في الاختلاف حول موضوع التربية وأيضا فهم الطبيعة الإنسانية والذى يعود في المقام الأول إلى الاختلاف في الفلسفات أو البيئات الثقافية التى تتميز وتتباين بتباين القوى والعوامل المؤثرة من فلسفية وثقافية واجتماعية ودينية وهكذا.

وبذلك اختلف المربون والمفكرون والعلماء في معنى التربية نظرا لاتساع مدلولها.

إن التربية كما حددها فيلسوف التربية هارى برودى Hary Broudy هى عملية أو تتاح لمحاولة مدروسة لخبرة نمطية بالتوجيه والسيطرة على عملية التعلم أما التربية الرسمية فهى تشير إلى العملية التعليمية المقصودة التى تتم في المدرسة.

وقد عرف فيليب فينكس Philip Phevik التربية بأنها العملية التى وفقا لها يوجه الأفراد قصد العملية التعليمية لنمو أفراد آخرين.

وربما نجد أن التعريف الكافى والعام في كل ما كتب عن التربية هو ذلك التعريف الذى قدمه وليم فرانكينا N.K, Frankona حيث قال : آن مصطلح التربية قد يعنى أن مما يأتى:

١- ما يفعله الآباء والمدرسين والمدرسة أو بمعنى آخر النشاط الذى تقوم به لتعليم الصغار.

٢- ما يحدث في داخل الفصل من تغيرات أو عملية كونه متعلما.

٣- المحصلة النهائية أو ما يكتسبه الطفل وما يسمى في النهاية بالتربية.

٤- أن نظام التربية هو ذلك النظام يدرس أى من الثلاث النقاط السابقة.

لقد عرفت التربية أيضا بأنها عملية تكيف مع البيئة المحيطة أو بأنها عملية تكيف مع الثقافة المحيطة، فالعملية التربوية تتفاعل مع البيئة من ثقافة ومكونات مادية وغير مادية وبكل عناصرها الطبيعية والإنسانية. إنها تفاعل مع الحياة مع الإنسان فهى عملية مستمرة كالمجتمع.

التربية عملية تطبيع اجتماعى تهدف إلى إكساب الفرد ذاتا اجتماعية يتميز بها عن سائر الحيوانات الأخرى في جميع مستوياتها التطورية فهى التى تجعل من الفرد عضوا عاملا في الجماعة حيث يتطبع الفرد بطباع الجماعة المحيطة به وعملية التطبع هذه تحدث في إطار ثقافى معين يتحدد على أساسه

اتجاهها ومفهومها ومعناها، ولكن هذا الإطار الثقافى يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر.

ومهما كان التكيف الذى يستطيع به المجتمع أن يكون وحدته بتدريب أفراده وتشكيلهم تشكيلا منسقا مشتركا إلا أن الأفراد لهم كيانهم الفيزيقى والسيكولوجى فإن بيئة الفرد اجتماعية قد تسيطر عليه وتشكله إلا أنها لا تستطيع أن تمحوه ففى الظروف المناسبة يستطيع الفرد أن يعبر منها وأن يكيفها كالزعيم الدينى أو السياسى أو الاجتماعى الذى يغير طابع مجتمعه، ويستمر هذا التغير أجيالا إذا ما تعاون الأفراد وآمن كل منهم بروح الجماعة التى ينتمى إليها فتتحقق التربية هدفها بأن تجعل من الأفراد

يرى جون دويوى (١٨٥٩- ١٩٥٢) أن التربية تعنى مجموعة العمليات التى يستطيع بها مجتمع أو زمرة اجتماعية صغرت أو كبرت أن تنقل سلطاتها أو أهدافها المكتسبة بغية تأمين وجودها الخاص نموه المستمر، كان جون دويوى يقول : (إن التربية هى الحياة).

فالتربية كما ورد في معظم هذه التعاريف وفى تعاريف كثيرة أخرى لا تتعدى العملية أو المجهود أو النشاط الذى يؤثر في قوى الطفل أو الراشد نفسه أو البيئة الاجتماعية أو البيئة الطبيعية وهكذا يمكن القول أن العملية التربوية هى: العملية التى تنتج عن المؤثرات المختلفة التى تواجه وتسيطر على حياة الفرد.

أما أحدث التعاريف للتربية فهو التعريف الذى يدور حول عملية التكيف أى أن:

التربية هى عملية التكيف أو التفاعل بين المتعلم وبيئته التى يعيش فيها.

مما تقدم من تعاريف يتضح لنا أن معظم من عرفوا التربية وكذلك معظم المفاهيم التربوية تشتمل على:

١- أنها جميعا تقتصر على الجنس البشرى.

٢- أنها جميعا تعتبر التربية فعلا يمارسه كائن حى فى كائن حى آخر، وغالبا ما يكون إنسان رائد فى صغير أو جيل بالغ النضج فى جيل ناشئ.

٣- أنها جميعا تقر أن هذا الفعل موجه نحو هدف ينبغى بلوغه علما بأن الهدف يحدد له غاية تهم المجموعة التى تقوم بعملية التعليم.

أمام هذا كله تبدو التربية وكأنها لا تخضع لتعريف محدد وأن تعدد مفاهيمها أمر طبيعى يتناسب مع مكانها وسط الظروف والعوامل المتغيرة، وأنه ينبغى أن نسلم بهذه المفاهيم ما دامت التربية قضية عامة تشغل كل فرد وليست مسألة فنية شأنها شأن مسائل العادم الأخرى التى يختص بها المتخصصون من العلماء والفنيين.

وكل هذا يدعو إلى التعرف على مظاهر وأسباب هذا الاختلاف حتى يتجنب العمل التربوى الكثير من الغموض والاضطراب الذى ينتج إنما من الغموض والاضطراب فى المفاهيم والمعانى.

ويبدو أن مرد هذا الاختلاف هو عدم النظر إلى التربية نظرة شاملة والاقتصار فى ذلك على نظرة جزئية، ومن ذلك:

- النظر إليها من خلال تأثرها بالظروف الاجتماعية والسياسية فى اختلافها بعوامل الزمان والمكان فقط.
- النظر إليها من خلال التعليم المدرسى فقط.
- النظر إليها من خلال نوع مادة التعليم.
- النظر إليها من خلال التخصصات المختلفة.

١- فالاختلاف حول مفهوم التربية قد يأتى نتيجة المعانى المختلفة التى تعطيها لها مختلف الأمم والجماعات مما لها من المعانى فى البيئات الريفية. غير ما لها فى المناطق الصناعية وقد يكون من الخطأ أن تفسر معنى التربية فى البلاد النامية مثلما تفسر به معنى التربية فى أمة بلغت مرحلة متقدمة من

الحياة ، ثم أنه حتى في حالة البلاد التى يجمع بينها كثير من أوجه الشبه قد تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا في مجال التربية سواء من ناحية الفكرة أو الممارسة والتطبيق، بل وأكثر من ذلك فقد تختلف الآراء حول معنى التربية في داخل البلد الواحد مردود ذلك إلى اختلاف المواقع والمواقف التى ينظر منها الناس إلى التربية فقد تختلف نظرة الناس إليها في المناطق الفقيرة عن نظرة الناس إليها في المناطق الغنية وهكذا.

٢- وقد يأتى هذا الاختلاف نتيجة النظر إليها من زاوية التعليم المدرسى فقد نجد من يؤكد أن التربية تقتصر على أماكن الدراسة باعتبارها الأماكن التى تخصصت في فن التعليم والتى تهدف إلى إحداث تغيرات مرسومة وواضحة في سلوك الناشئين والشباب وعلى أساس أن غيرها من الأماكن والمنظمات لها من الوظائف الأخرى ما يبتعد بها عن أية مسئولية تربوية.

٣- وهناك من يذهب إلى أن التربية لا تشمل مراحل الدراسة المقصودة في المدرسة وفى الجامعة فحسب بل تمتد إلى أبعد من ذلك فتشمل حتى المؤثرات غير المباشرة والعوامل العارضة فالتربية لا تشمل كل ما تصنعه لأنفسنا وكل ما يصنعه غيرنا من أجلنا بقصد الاقتراب من الكمال في طبيعتنا البشرية فحسب بل إن قوى التربية تمتد إلى أبعد من ذلك فهى بأوسع معانيها تشمل أيضا الآثار غير المباشرة في خلق الفرد وسلوكه وملكاته وقد تحدث هذه الآثار نتيجة لعوامل ليس من أهدافها المباشرة إحداث الآثار كما هو الشأن في القوانين والنظم الحكومية والفنون الصناعية وأساليب الحياة الاجتماعية بل وحتى الحقائق الطبيعية نفسها لا تخضع للإدارة البشرية كالجو والتربة والموقع.

٤- وقد يظهر الاختلاف حول مفهوم التربية عدم الاتفاق حول مادة التعليم ومحتواه وقد ظهر هذا الاختلاف بين المفكرين والفلاسفة منذ وقت طويل

ومن ذلك ما نجده في إحدى ملاحظات أرسطو نفسه إذ يقول "ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا طبيعة التربية أو الوسائل الصالحة لتحقيقها ويشهد الوقت الذي نعيش فيه خلافا فعليا حول هذا الموضوع فالناس غير مجمعين على الموضوعات التي ينبغي أن يتعلمها الصغار ولا يتفقون على الغاية المنشودة من تعليمها.

٥- وقد ظهر الاختلاف حول مفهوم التربية أيضا على ضوء اختلاف المداخل لدراستها فنظرا لأهميتها في استمرار المجتمع وتطوير ثقافته وتكوين اتجاهاته إنها كانت موضع اهتمام كل من بحث في شؤون المجتمع والثقافة وفي طبيعة الأفراد ودورهم فيه فتعددت مفاهيمها واختلفت باختلاف المدخل إلى تفسير المجتمع والثقافة وطبيعة الأفراد. فعرفها عالم البيولوجي بأنها عملية ملاءمة من جانب الفرد للبيئة التي يعيش فيها ونظرا إلى الفرد فيها من زاوية تطوره الطبيعي في مراحل تطوره ونموه. وأصبحت في نظر عالم النفس مرادفة لعملية التعلم بصرف النظر عن ظروف الزمان والمكان التي يعيش فيها الفرد والتي تشكل سلوكه واتجاهاته ونظر إليها أصحاب الاتجاه المحافظ ممن اهتموا بالثقافة والتراث الثقافي من حيث كونها وسيلة الثقافة في المحافظة عليها ونقلها من جيل إلى جيل التي يعبر فيها الفرد عن ذاته.

ثانياً : ماهية التربية:

التربية كموضوع يجب أن تعطى أهمية كبيرة فمن طريقه تتم عملية الحياة بانسجام وتوافق مع المجتمع وعن طريق التربية أيضا ترقى الأمم وتتقدم. ومنذ عرف التاريخ والفلاسفة يبحثون عن أفضل السبل للحياة الإنسانية الجيدة على هذه الأرض ومن ثم يهدفون إلى تحقيق بقائهم وبقاء نظمهم وقيمهم

ومبادئهم وقوانينهم وشرائعهم واستمرار أفكارهم ومنتجات عقولهم، وكان سبيلهم في غرس كل هذه المبادئ والمعتقدات والأفكار وزرعها في عقول الأجيال واستمراريتها هو العملية التربوية العملية التي تنقل هذا المبادئ والأفكار إلى الأجيال ولم يكن هذا النقل عشوائيا في أي يوم من الأيام بل كان ولا يزال وسيبقى منظما مرسوما مقننا ينقل للأجيال اللاحقة بنظام وبخطط تابعة يرضى عنها هؤلاء كما يرضى عنها المجتمع بما فيه من نظم وقيم وأنظمة حكم، كما لم تكن هذه العملية جامدة بل كانت متطورة متغيرة متدرجة حينا انقلابية وحينا آخر مستترة في وقت ظاهرة في وقت آخر. هكذا كانت ولا تزال العملية التربوية عملية هامة تعنى بماضي الإنسان وتهتم بحاضره وتخطط لمستقبله. فهي عملية عالمية لا تقتصر على فئة دون أخرى أو نوع من البشر دون آخر لأنها ليست مقبولة، ولا تدعو إلى تربية بني الإنسان وكل إنسان على نسق واحد بل هي عملية تعد الإنسان بما يناسبه في حياته اليومية وممارساته الحياتية، إنها تعد الإنسان المفكر الإنسان الذي يبني اليوم ليسكن غدا وينمو بعد غد ويخلف تراثا قيما للأجيال على مر السنين إنها تعد الإنسان القابل للتكيف المتفتح للتطور والازدهار، إنها عملية بناء البشر وهي عملية ليس سهلة ولا يمكن التحكم فيها كما يبني المهندس عمارة شامخة أو المصانع صناعة قوية إنها عملية إنسانية تعنى بالإنسان.

إن هذه العملية قديمة قدم المخلوقات على وجه هذه الأرض وهي مستمرة استمرار الحياة على وجه هذه البسيطة وستبقى مع بقاء الإنسان كانت العملية التربوية ولا تزال مجال اهتمام المجتمعات المتطورة والتقدمية وقد أولت الدول المعاصرة والحضارية عناية خاصة للتربية وخصصت لها المال والجهد وأعدت لها الخبراء والمتخصصين لما لها من أهمية في صنع الإنسان المتطور في المجتمعات العصرية.

ولم تكد العملية التربوية يوم أو ساعة ولكنها عبارة عن تراكمات من الخبرات والسلوكيات التى رضيت عنها الشعوب على مر الزمن، فبواسطة العملية التربوية عرف الفرد الحقائق الموجودة في العالم وتعلم المهارات التى تفيده في الحياة وبواسطتها نمت قدراته وتشعبت ميوله وحققت رغباته. ولكن كل معرف لها أنها لا يعدو أن يخرجها من نطاق الفائدة والتكيف مع الحياة المحيطة في الوقت المحدد والمكان المعين.

إن العملية التربوية ليست حكرا على أحد ولا هى مهمة إنسان دون آخر كما أنه عملية عامة قد يقوم بها الأب أو الأم أو المدرس أو المدرسة أو السائق أو البائع أو أى مخلوق قد تأهل لذلك: أى : مخلوق عرف قيم مجتمعه وتقاليده عرف عاداته وقيمه ونظمه عرف ما هو صالح وغير صالح عرف ما له وما عليه فرجل الدين مربى والمدرس مربى والأب مربى والقائد مربى ولأن العملية التربوية عملية تكيفية عملية تكيف مع الحياة والتأقلم مع البيئة المحيطة سواء كانت البيئة الطبيعية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية فهى عملية قديمة قدم هذه الحياة وتلك هى العملية التعليمية التى يحافظ بها الإنسان على بقائه وبالتالى استمراريته، لقد بدأ الإنسان الحياة منفردا وتزاوج وصار له عائلة وكبرت العائلة فاصبحت عشيرة وتجمعت العشائر وتكونت القبيلة واتحدت القبائل فتكونت الدولة وصار لابد لهذا التراث من ديمومة وكانت ديمومته بالعملية التربوية التى تنقل التراث وتحافظ عليه وتنميه وتطوره وتبقيه على الدوام واتسعت معانى العملية التربوية باتساع المجتمعات واختلفت باختلاف الأمم وتنوعت بتنوع الأنظمة وتعددت بتعدد المفكرين لهذا صارت مدلولات التربية مختلفة وشاملة وعامة لا تخص فئة واحدة دون الأخرى ولاتقتصر على أمة دون غيرها ولا هى وليدة زمان دون زمان بل هى عملية استمرارية غير محدود بزمان أو مكان أو شعب دون شعب.

العملية التربوية إذ عملية هامة لبنى البشر وأهميتها تكمن في كونها الطريق المنظم لنقل التراث استمرار بقائه لكل الأمم.

ثالثاً : أهداف التربية:

إن التربية عملية فردية اجتماعية ، تتعامل مع فرد في مجتمع تنقل إليه معارف ومهارات ومعتقدات ولغة الجماعة من جيل إلى جيل، والإنسان هو موضوع التربية تعنى بسلوكه وتطويره ولكن ليس بمعزل عن الجماعة لأن الذات الإنسانية لا تتكون إلا في مجتمع إنسانى وبقدر ما يتوافر للتربية من وضوح وعمق في المفاهيم والأسس التى تستند إليها تكون قوتها وفعلها في حياة الأمم والشعوب وفى اتجاهات الأفراد وفى العلاقات المختلفة وفى مجالات العمل المتعددة ونظرا لهذه الأهمية للتربية باعتبارها مسألة حيوية لازمة وضرورة اجتماعية فلقد زاد اهتمام الناس بها واشتدت الحاجة إلى دراستها والتعرف على أبعادها ومن ثم كان ضروريا بالنسبة لدارس التربية وممارسها في المستقبل أن يتعرف على طبيعة هذه العملية ماهيتها وجوانبها المختلفة وضرورتها.

يمكن القول أن هدف التربية الأساسى هو أنسنة الإنسان أى جعله مخلوقا إنسانيا يعيش في مجتمع ضمن إطار اجتماعى يحتوى على تقاليد ونظم وقيم ومعايير وأفكار خاصة به والعملية التربوية تكسب الفرد حضارة الماضى وتمكنه من المشاركة في ممارسة حضارة الحاضر وتهيئة للتطوير وإضافة واختراع وتقدم حضارة المستقبل.

إنها عملية تسهم وتشارك وتدفع عجلة الزمن للبقاء، إنها تحصيل فرد في تراث الجماعة وتراث جماعة ينتقل بواسطة فرد.

فالتربية وسيلة وهدف طريقة وغاية تبدأ مع بدأ الحياة ولا تنتهى رغم نهاية حياة الأفراد لأنها اجتماعية تخص المجتمع كما تخص كل فرد فيه، هى

راية تسلمها الجيل الحاضر من الجيل الماضى وسيسلمها الجيل الحالى إلى الأجيال القادمة، هى عملية اجتماعية رغم كونها من العلوم التطبيقية فهى جهد اجتماعى يمارس في المجتمع ويطبق على مر الأجيال.

وإن وظيفة التربية تكون أساسا في نقل التراث من جيل إلى جيل وفى اكتساب الخبرات المتزايدة كأساس للنمو وتعديل النظم الاجتماعية المختلفة وتطويرها كما تعمل التربية على تزويد أفراد المجتمع بالمواقف التى تنمى التفكير لديهم. والتربية هى مؤسسة الثقافة التى عن طريقها يمكن تغيير عقول الأفراد وتجديدها.

رابعاً : أهمية التربية:

تكمن أهمية التربية فى الجوانب التالية :

١- التربية وسيلة اتصال وتنمية للأفراد:

إن بقاء المجتمع لا يعتمد فقط على نقل نمط الحياة عن طريق اتصال الكبار بالصغار أيا كان نوع هذا الاتصال، ولكن بقاء المجتمع يتم بالاتصال الذى يؤكد المشاركة في المفاهيم والتشابه في المشاعر للحصول على الاستجابات المتوقعة من أفراد المجتمع في المواقف المعينة. إن هناك علاقات كثيرة بين أفراد الجماعة لا تكون علاقات اجتماعية بالمعنى الصحيح فهى أشبه ما تكون بعلاقة أجزاء الماكينة وكثيرا ما يستخدم إنسان إنسانا غيره لإنجاز مطالب له بدون تقدير لأوضاعه العقلية والنفسية المتصلة بإنجاز تلك المطالب ومثل هذا الاستخدام للغير يعكس العلاقة القائمة على أساس القوة والنفوذ وليس على أساس تحقيق الأهداف أو إشباع الرغبات المشتركة.

٢- التربية تعمل على استمرار ثقافة المجتمع وتحديدها ونقل التراث الثقافي:

وبهذا المعنى تحتل التربية مكانها البارز في ثقافة المجتمع فهي السبيل مهما كانت صورتها ومنظماتها إلى تشكيل الأفراد وتحقيق الاستمرار بين الأجيال المختلفة وفي حياة المجتمع بصفة عامة فلابد لكل جيل أن يدرك إلى أين وصل أسلافه حتى يبدأ سيره من حيث قطعت عليهم آجالهم المسيرة تنتقل وتستمر عن طريق التفاعل والتنشئة والتربية.

٣- تكون الاتجاهات السلوكية:

هذا وهناك وظائف اجتماعية أخرى كثيرة للتربية تتحقق من خلال عمل البيئة الاجتماعية ذلك أن الطريقة الوحيدة التي يسيطر بها الكبار على تربية الصغار إنما تحدث بالسيطرة على البيئة التي يعملون فيها ويفكرون ويشعرون. فالبيئة تتكون من العوامل والظروف التي تنمي النشاط المميز وتثيره للكائن الحي أو توخره وتضعفه إن الوسط أو البيئة إنما تعني النشاط البيئي كشرط للحياة بصرف النظر عن النجاح أو الفشل وتعرف البيئة بأنها كل ما يحيط بالإنسان من العوامل التي تؤثر فيه ويتفاعل معها وهي المجال الحيوي الذي لا تتم التربية على وجهها الصحيح بدونه.

إن الأثر التربوي للبيئة الاجتماعية ينعكس في تكون شخصية الفرد واتجاهاته العقلية العاطفية وفي تحديد أنماطه السلوكية وإن البيئة تتطلب من الأفراد استجابات معينة في مواقف معينة. فالوسط الخاص الذي يعيش فيه الفرد يقوده لرؤية أشياء أكثر من غيرها ولاتخاذ أسلوب معين في العمل بنجاح مع الآخرين وهكذا يكتسب الفرد من هذا الوسط اتجاها سلوكيا يظهر في نشاطه وتفاعله مع أهل بيئته.

وتتكون الاتجاهات السلوكية في البيئة بواسطة تشكيل العادات الدافعة للطفل وتثبيتها وبتعديل دوافعه الأصلية على تعديل مبدأ اللذة والألم فلكي يحصل الطفل على لذة النجاح ويتجنب ألم الفشل عليه أن يعمل في الطريق المرغوب فيه من الآخرين، وقد يشارك بطريقة حقيقية في نشاط الكبار وعندئذ تكون دوافعه الأصلية قد تعدلت بحيث أصبح لا يعمل فقط بطريقة يقبلها الكبار بل لأن نفس الأفكار والعواطف التي عند الكبار قد نمت عنده فإنه يكسب رضا الآخرين. وما يؤكد دور البيئة الاجتماعية في تشكيل الاتجاهات العقلية والعاطفية للفرد وتحديد نمطه السلوكي أنه إذا ما احتوته الاتجاهات العقلية والعاطفية للبيئة يكون قادرا على معرفة أهدافها الخاصة وطرق ووسائل تحقيقها وبمعنى آخر تأخذ أفكاره ومعتقداته اتجاها مشابها لاتجاه مثيلاتها في البيئة فطريقة الحكم على الأمور وكيفية تفسير الظواهر المختلفة ونوعية القيم والتقاليد الحاكمة إنما تعكس الاتجاهات العقلية والعاطفية السائدة في المجتمع.

دور البيئة في تزويد الفرد بالمواقف والمثيرات التي يستجيب لها وفق نمط الاستجابة البيئية.

تكون البيئة عملية تعلم لأنماط سلوكية موجودة في البيئة لوجود مثيراتها كما أن الأنماط تختلف من بيئة لأخرى تبعا لاختلاف المثيرات واختلاف الاستجابات المترتبة عليها فنزول المطر في بيئة زراعية قد يجلب الطمأنينة لأهلها بينما قد يزعج أهل البيئة الصناعية حيث يعوق حركة المواصلات وسلوك الحمية أو "الحماسة" عند الرجل الريفي في موقف يتصل بملبس زوجته الريفية لا يكون بالضرورة مماثلا لسلوك الرجل في المدينة في نفس الموقف مع زوجته الحضرية.

٤- تحقيق النمو الشامل واكتساب الخبرة:

التربية تهيئ الوسائل المختلفة لتحقيق إمكانيات النمو للطفل عقليا واجتماعيا وجسمانيا والبيئة هى الوسط التربوى لذلك فالطفل يعتمد على الكبار في إكسابه الخبرة اللازمة لتكييفه وتفاعله مع الآخرين وتكتسب هذه الخبرة بتكوين العادات الإيجابية التى يسيطر بها الطفل على بيئته ويستخدمها في تحقيق أهدافه والعادة تأخذ شكل الاتزان العام المستمر لنشاط الإنسان مع ما يحيط به وكذلك تتمثل في الطاقة الإيجابية التى تعيد التكيف لمواجهة الظروف المتغيرة والجديدة لذلك فإن العادة في شكلها ومضمونها تعطى أساس النمو وتكونه وحديثنا عن العادات ودورها في تشكيل نمو الفرد ينصب على العادات الإيجابية التى تنمى القدرات الإبتكارية والخلاقة وهى تتعارض مع العادات بشكلها ومضمونها الروتينى كأسلوب تفاعل يعترض النمو.

وهكذا نخلص إلى أن عملية النمو تستلزم وجود شرطين هما الاعتماد على الآخرين والمرونة، وحيث أن النمو خاصية لحياة والتربية هى النمو فليس لها إذن غرض أبعد من ذاتها في أنها الحياة كما أن التربية عملية اكتساب خبرات اجتماعية والبيئة الاجتماعية هى وسيط ذلك، فالطفل حيث يتفاعل مع الأفراد والجماعات تفاعلا يشبه حاجاته الاجتماعية والعقلية والجسمية يكون حريصا على اكتساب رضاهم وعلى اكتساب المزيد من الخبرات بهدف سرعة التكيف والاندماج في الحياة، وهو لهذا ينضم إلى الجماعات كى يشعر بالانتماء إلى الجماعة فيشعر بكيانه وباستقراره النفسى وعملية الانتماء للجماعات عملية هامة في بناء المجتمع وتماسكه فهى القوة التى تشد المجتمع لبعضه وتجدد بقائه من خلال استيعاب قيم الحياة ونقل تراثها الثقافى ومشاركة نشاطها الإيجابى على أساس رصيد الخبرات والمعارف والاتجاهات والمهارات الحالية التى يسعى

دائما لزيادتها وتنميتها تمشيا مع تغير مواقف الحياة وحاجته للتكيف مع هذا التغيير.

٥- اكتساب اللغة:

يتضح أثر البيئة في تعليم اللغة وتحصيل المعرفة فالطفل يتعلم اللغة وأساليب الكلام ممن يختلط بهم في مراحل نموه الأولى وتكون اللغة والمعرفة عندئذ في أبسط صورهما. فالطفل عند سماعه للصوت فإنه غالبا ما يسمعه مصاحبا أو مرتبطا بشئ محسوس كما أن هذا الشئ والصوت الدال عليه يكرران بالنسبة للطفل تبعا لذلك يصبح الطفل طرفا آخر في عمل مشترك سيسمع فيه ذلك الصوت مع هذا الشئ في مواقف ذات نشاط مشترك بين طرفين تكون المعرفة في أبسط صورها أي أن الأشياء والأصوات الدالة عليها تستخدم أولا في نشاط مشترك كوسيلة لإعداد اتصال إيجابي فعال بين الكبير والصغير.

٦- التربية تعمل على تحقيق الديموقراطية:

والتربية في عالمنا المعاصر المكانة الأولى في تحقيق آمال الشعوب في حياة تستند إلى الحرية والعدالة وحكم القانون، فهذه المفاهيم وما يرتبط بها من ممارسات لا تولد مع الأفراد وإنما يكتسبونها بالتعليم والممارسة والتطبيق ولهذا طالب أصحاب التربية المحدثون بأن تكون المدرسة مكانا يتهيأ فيه الناشئون لأساليب الحياة الديموقراطية فيفهمون مبادئ هذه الحياة ويمارسونها في خبرات تربوية منظمة فالديموقراطية تستمر من تلقاء نفسها ولا تستقيم بإطلاق حرية الأفراد، وإنما هي قيم وعلاقات وأساليب تفكير وقواعد وضوابط يجمع الفرد بمقتضاها بين حريته ومسئوليته وبين حقه في النمو وواجبه نحو الجماعة، وبين التفكير، وكل هذا يتطلب نوعا من التربية يمكنه من ممارسة الحرية على أساس من العلم ويتيح الفرصة أمام كل الناس مع الكشف عن الامتياز والتفوق

بينهم وهكذا وفى هذا المجال تبرز أهمية التربية من زوايا كثيرة في مقدمتها : أهميتها في نمو الفرد وتقدمه فهى الآن ترتبط بنظرة كل فرد إلى نفسه وإلى مستقبله فقد تكررت الفرصة المتكافئة أمام الجميع وأصبح التعليم في مقدمة الحقوق التى يعتز بها كل فرد فعن طريق التعليم يستطيع الفرد أن يضمن حصوله على حقوق أخرى فالحق في العمل الآن والعمل الجاد بالذات يرتبط بكفاءة الفرد وامتيازه، ومن ثم يرتبط بالتعليم، والحق في المشاركة في الحياة العامة واتخاذ القرارات يتطلب فهما ودراية وإحاطة بما يؤثر في هذه الحياة من عوامل ومشكلات ولهذا فإنه يعتمد على التعليم والحق في ممارسة الديموقراطية بأوسع معانيها الحقيقية لا يمكن أن يتحقق إلا في مجتمع متعلم، وهكذا فإن التعليم لابد وأن يحتل من اهتمام الأفراد المركز الأول حيث أنه المصعد الاجتماعى الذى ينقلهم من مستوى معين إلى مستويات أعلى باستمرار.

٧- التربية تعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات:

ذلك لأن انتشار المعرفة وذيوع العلم ينحو إلى إضعاف الميزات الصناعية التى تفرق بين الناس ويدعو إلى حسن التفاهم والتعاون بين هذه الطبقات، وبذلك تكون التربية هى الدعامة الأساسية في تحقيق أى تحول اجتماعى يهدف إلى إذابة الفوارق بين الطبقات وجعل الامتياز في المهارة والعمل لا الثروة أو النسب أو الأصل هو أساس الحكم على الأفراد. ومن هنا ارتبطت التربية في عالمنا المعاصر بالفلسفات الاجتماعية حيث أن أية فلسفة لا يمكن أن تتحقق بالقانون وحده أو بإجراءات وتنظيمات إدارية دون أن تستند إلى فكرة وسلوك يعبر عنه الأفراد في تفاعلاتهم وعلاقاتهم وفى داخل أنظمتهم ودوائر نشاطهم.

٨- اكتساب القيم الخلقية والجمالية وتذوقها:

لقد عرفنا أن للبيئة تأثيرها اللاشعورى في اكتساب عادات اللغة وأساليب الكلام من خلال نشاط الصغار وتفاعلهم مع الكبار كما أن هذا

التفاعل يترك آثاره العميقة في كتسابهم القيم والاتجاهات والعادات الخلقية. إننا كثيرا ما نقول أن الأخلاق الطيبة تأتى من النشأة الطيبة أو هى النشأة الطيبة، والنشأة الطيبة تأتى من الأفعال المعتادة في مناشط الحياة كاستجابة المثيرات المعتادة المألوفة وليست من المعلومات، بمعنى آخر أن النشأة الطيبة والأخلاق الطيبة تتأتى من الأفعال الملموسة في نشاط الحياة أكثر مما تأتى من أساليب الوعظ والإرشاد فالأخلاق تتكون من خلال الممارسة والانخراط في مواقف الحياة يكون التعامل مع الأفراد والجماعات، وحيث يكون اكتساب القيم والاتجاهات والعادات ذات الأثر الإيجابى البناء كالتعاون والتساند وحب الخير وكره الشر وفق ما تحدده البيئة من معايير الخلق الطيب والسلوك الحميد الذى فيه خير ضمان لسلامة كيان الفرد وكيان المجتمع، وكذلك يمتد أثر البيئة اللاشعورى إلى تربية الذوق وتقدير الجمال من خلال ما تستشعره النفس من المعانى الجميلة في آداب السلوك الإنسانى وآداب الحديث في المناسبات والمواقف المختلفة، وكذلك من خلال ما تراه العين في البيئة من معالم الجمال وإدراك علاقاته المتمثة في حسن التنظيم للأشكال والعناصر فجمال الطبيعة والنظم المعمارية في البناء وأناقة الحدائق وتنسيق الميادين ونظافة الشوارع بالإضافة إلى حسن البيت وتزيينه، وكذلك في انسجام الأزياء وتنوع أشكالها وألوانها كل ذلك يترك آثره العميق في اكتساب الصغار اتجاه حب الجمال وتقديره وانعكاس ذلك في ممارستهم اليومية.

٩- تحقيق التطور وتشكل المستقبل:

تعتبر التربية دائما عاملا من عوامل التطور دافعا إلى التبديل والتقديم والتربية هى تشكل الفرد والثقافة وتقوم بدورها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ترتبط بالمستقبل وتؤثر فيه بل يمكن القول أنها صانعة المستقبل فالأطفال الذين يولدون اليوم سيعلمون في المجتمع بعد عقدين من الزمان

فإن كان المجتمع قد تغير إلى درجة كبيرة خلال السنوات العشر الماضية وحتى الآن وإن كان التغيير الحاصل يقع بسرعة متزايدة، فإن شكل المجتمع وبنيته وأفكاره وأحداثه في بداية الألفية الثالثة لابد أن تختلف اختلافا جوهريا عنها الآن، ومعنى هذا أن المدارس تعد أطفال اليوم لمجتمع يختلف تماما عن المجتمع الحاضر وتصنع المجتمع بصناعة اتجاهات الأطفال والشباب وتكون قيمهم وتشكيل أفكارهم، وبالتالى فإنها تقرر مستقبل الثقافة ونوعية الحياة فالتعليم بطبيعته وبدوره في الثقافة يعتبر في جوهره مستقبلى ومهما اختلفت الآراء أو الفلسفات حول طبيعة الإنسان الذى هو موضوع التربية، فإن أثر التعليم يتضمن المستقبل دائما مهما كانت صورة هذا المستقبل ونوعيته فهو إلى أحسن وأفضل ما دام التعليم يهدف إلى الأحسن والأرقى وهو ينحو إلى الجمود والثبات ما دام التعليم تتحكم فيه التقاليد والعمليات الآلية. فالعلاقة عضوية متبادلة بين التعليم والمستقبل أى أن التعليم بلغة البحث العلمى عامل مستقل وعامل تابع في نفس الوقت ولهذا تظهر الفروق بين تعليم يقوم على وعى بأهمية المستقبل وبنوعيته وتعليم يدور حول نفسه دون وضوح فكرى بشأن دوره في تقرير سلوك الأفراد وحياة المجتمع فالتعليم للمستقبل يعنى ضرورة وجود فلسفة واضحة تحرك التعليم من داخله كما تحرك العلاقات بينه وبين قطاعات العمل المختلفة، ثم أن وجود هذه الفلسفة يعنى ضرورة الأخذ بالتخطيط وهو الذى ينظم حركة التعليم ويدفعها إلى الأمام ليؤثر في المستقبل ويشكله وعلى هذا النحو يحتل التعليم مكانة هامة في اهتمام عالمنا المعاصر بعد أن صارت المستقبلية بعدا من الأبعاد الهامة في نظر المجتمعات وبعد أن ذاعت الأساليب العملية في دراسة المستقبل والتحكم فيه وبعد أن اتضحت العلاقة بين التعليم والتقدم.

خامساً : أسس التربية:

إن اعتبار التفاعل بين القوى الاجتماعية حقيقة المجتمع والثقافة نتاج هذا التفاعل، يعنى ارتكاز كل منهما على حقيقة أخرى هى وجود قوة يملكها الأفراد بحكم وجودهم الاجتماعى والثقافى. تحقق لهم استمرار هذا التفاعل وتضمن لهم كذلك الإفادة من هذا النتاج بعد تمثلهم له واستيعابهم لعناصره في دفع أسباب حياتهم الثقافية والاجتماعية.

وهذه القوة هى التربية التى إن دلت على شئ فإنها تدل على مايلى :

أولاً : تدل على استعداد الفرد اللامتناهى للتغير والتشكل،

ثانياً : تدل على قدرته في أن يغير هو نفسه بما تغير به في أسلوب حياته وأساليب حياة مجتمعه وأنماط ثقافته.

ثالثاً : تدل على تشخيص المحيط الثقافى الذى ينتمى إليه وتبين ما فيه من عناصر قوة وضعف والتمييز بينها وتوجهها وصولا إلى مستوى أفضل لهذا المحيط بمستوياته المختلفة المتعددة.

رابعاً : تدل على مدى ما يبذله من إيجابية في النهوض بمستوى عمليات التفاعل والاتصال بينه وبين الآخرين في الدوائر الاجتماعية المختلفة التى يمارس فيها أدواره باعتباره عضوا في جماعات مختلفة ينظمها مجتمعه .

وهذه القوة بهذا المعنى لا توجد بدايتها ولا تستمر من تلقاء نفسها إذ توجد بوجود الأفراد في جماعاتهم الإنسانية وبفعل نشاطهم وممارستهم لأساليب العمل والتفكير في سياق عمليات التفاعل المتصلة التى يعيشون فيها، وبواسطتها إذ أن فعل التربية بهذا المعنى الثقافى العام لا تنفرد به مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع ذلك أن عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيقع الاجتماعى التى تعتبر التربية قرينة لها لا تقتصر على مؤسسة بعينها أو على موقف واحد من مواقف الحياة، بل إنها عملية موصولة تشارك فيها جميع الدوائر الاجتماعية التى تتمثل في

وسائط الثقافة كالأسرة والمسجد أو الكنيسة وجماعة الرفاق والزملاء والمدرسة والهيئات والروابط الاجتماعية وما يستحدثه أفراد المجتمع من وسائل اتصال وتجمع كالأندية والتنظيمات الاقتصادية والسياسية والصحافة والإذاعة والسينما والمسرح والتليفزيون.

ومن هنا تبرز لنا بعض الأسس التى لابد من الوعى بها واعتبارها إطارا تعمل فيه التربية.

أولا: إن التربية عملية اجتماعية ثقافية تشتق ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعى للأفراد ومن كونهم حملة الثقافة.

ثانيا: إن الثقافة بكل وسائطها تعتبر الوعاء التربوى العام حيث تحدث عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد بما تؤدى إليه من اكتسابهم أنماط سلوكية تحدد علاقاتهم وتعبر عن نفسها فيما يقومون به من أدوار اجتماعية.

ثالثا: إن المدرسة وهى المؤسسة التربوية المتخصصة تعتبر واحدة من بين مؤسسات اجتماعية مختلفة لابد من التنسيق بينها لتوجيه مؤثراتها وتحويلها إلى مؤثرات تربوية في حياة الأفراد يتوافر فيها الوعى والهادفية والتخطيط.

رابعا: إن دور التربية في عمليات التغير مسئولية مشتركة بين المدرسة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية حتى تقوم التربية بالفعل بهذا الدور وهو تيسير التغير ودفعه والمزيد منه في آن واحد.

سادساً : ركائز التربية:

تدور التربية حول الإنسان وحول مكانه من الحضارة التى يعيشها ويصنعها مجتمعه وهذا يعطى للتربية ركائز تستمد منها وظائفها وأهدافها:

أ- الرصيد الثقافى يعتبر مصدرا أساسيا للتربية تستمد منه مادتها وبعض تصوراتها ومقاييسها ، ومن هنا فإن عمليات الاستيعاب والحفظ

والاسترجاع تعتبر من العمليات التعليمية الهامة لأنها تنمى عند الإنسان هذه القدرات التى ميزته عن غيره من الكائنات الحية والتى مكنته من صنع التاريخ والثقافة والمحافظة عليهما وتطورهما والاستمرار بهما وعن طريقها.

ب - الحاضر الذى يعيشه الإنسان يعتبر مصدرا ثانيا وتستمد منه التربية أيضا أهدافها ومادتها ومقاييسها، فمشكلات هذا الحاضر وقضاياه وتحدياته هى التى تشكل التربية وتكون المطالب الملقاة عليها، والإنسان لا يستطيع أن يواكب كل هذا إلا بالنقد والتحليل والاستقراء ومن هنا يصبح التفكير عملية أساسية للتربية من أجل تحقيق وظيفتها، والتفكير هنا يعنى إدراك العلاقة بين الحاضر بمشكلاته وقضاياه وتحدياته... وبين الماضى الذى يعتبر سببا له.

جـ- والمستقبل الذى يتطلع إليه الإنسان في مجتمعه يعتبر مصدرا ثالثا تستمد منه التربية توجيهاتها وأهدافها وتصوراتها فإذا كان الماضى يغذى الحاضر فإن الحاضر لابد أنه يغذى المستقبل بل أن تصوراتنا عن هذا المستقبل تغذى الحاضر وهكذا، والتربية بطبيعتها عملية مستقبلية كما أنها عملية ثقافية اجتماعية، ومن هنا فإن تنمية التصور والتخيل والقدرة على الخلق والإبداع تعتبر من وظائف التربية لأن كل هذه القدرات هى سبيل الإنسان إلى صنع مستقبله والتنبؤ به.

سابعاً : ضرورة التربية:

التربية عملية ضرورة للإنسان الفرد كما هى ضرورية للجماعة ولكل الكائنات الحية فكل الكائنات الحية تسعى إلى تخليد جنسها، وذلك بالتناسل ومن ثم الاحتفاظ بالنسل وحمايته أما الإنسان فتربيته تتم عن طريق تدريب الصغار على طرق المعيشة أو العيش المناسب لكى يتمكنوا من الحفاظ

على أنفسهم، ولكن ليس من السهولة بما كان المحافظة على هدف الحياة بدون توجيه ونصح ممن هم أكثر خبرة وأكبر سنا فالطفل كما يرى بعض علماء النفس يولد وهو مزود بالقدرة على سلوك خاص أو على نوع من السلوك ثم تأتى حاجته للتكيف مع المجتمع وهنا يحتاج لمن يأخذ بيده ويرشده لمعرفة حاجات ذلك المجتمع ليستطيع العيش فيه وهنا تأتى ضرورة التكيف مع البيئة من حوله (البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية معنا لأن لهما أكبر الأثر على حياة الفرد ولا يمكن الفرار منهما أو التهرب من مطالباتهما وبما أن لكل مجتمع متطلباته الخاصة فيجب على الأفراد بالتالى أن يخضعوا لتلك المتطلبات إذا ما أرادوا العيش في ذلك المجتمع، وقد عرفت أن التربية عملية مستمرة دائمة بل عملية نمو دائم للإنسان فهى بالتالى عملية تحتاج إلى وقت طويل لأن الإنسان هو الكائن الحى الوحيد الذى يتمتع بمراحل نمو طويلة وبطيئة في نفس الوقت، وبما أن عملية التربية تستمر فترة طويلة فهى بالتالى تتأثر كثيرا بالخبرات الفردية، وكلما ارتقى الإنسان وكلما تقدمت وسائل الحضارة لديه كلما احتاج للتربية وذلك لاحتياجه لعملية التكيف مع البيئة الجديدة، لهذا فحاجتنا للتربية تزداد يوما بعد يوم ، والتربية عملية واعية وليست عشوائية فهى عملية هادفة لها أهداف ونظم وقواعد ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات على أن ضرورة التربية للإنسان تتضح في الأمور التالية:

١- التربية ضرورية للإنسان للمحافظة على جنسه وتقدمه وذلك لتوجيه غرائز الإنسان من عواطف وميول لكى تخدم المجتمع للحياة الأفضل.

٢- التربية ضرورية لتقدم بنى البشر ورقيهم رقيا مستمرا وإن طول مدة الطفولة تساعد الإنسان على التربى والترقى.

٣- التربية ضرورية لكى يواجه بها الإنسان متطلبات الحياة وما يحدث من تنافس بين الأفراد وذلك من أجل العيش عيشة سعيدة في مجتمعه.

٤- التربية ضرورية للأمة كما هى ضرورية للفرد فهناك تنافس للأمم كما هو قائم بين الأفراد فكل أمة تريد الأخذ بأسباب الرقى والتقدم حتى تساير ركب الحضارة وتنافس غيرها من الأمم في مختلف الميادين ثم إن ضرورة التربية للأفراد تضاهيها ضرورتها للمجتمعات فهى إذن ضرورة فردية من جهة وضرورة اجتماعية من جهة أخرى.